الفصل السابع
تعميد الذات بين الهويات المغلقة والمتنافرة
في التعليم الجامعي

"لا يتبدل ما في الأعيان إلا إذا تبدل ما في الأذهان"

مدارات تربوية في التعليم الجامعي .

الجامعة هي قاطرة المجتمع المصري نحو التقدم والازدهار، ولا ينبغي أن يكون الهدف من التعليم الجامعي تقديم معرفة من أجل المعرفة ، ولكنه ينبغي أن ينتج معرفة جديدة ترتبط بنمو القوى البشرية كعملية اقتصادية ، يحتاجها المجتمع المصري ، ومن ثم تكون مخرجاته وإسهاماته في إطار التنمية البشرية والقومية .

فالتعليم الجامعي منوط به تحقيق أمان نفسي واجتماعي ، ويرتبط ذلك بقدرات مؤسسات التعليم العالي على الاستجابة لاحتياجات المجتمع في ظل التحولات العالمية والمتغيرات المتسارعة في عالم اللحظة ، لذلك يجد التعليم الجامعي نفسه أمام تحديات عديدة ومستمرة ، فرضت عليه هذه التحديات الأخذ بالانفتاح على كافة البدائل العالمية والإقليمية والمحلية دون التماهي فيها .

وقد قدم التعليم الجامعي من خلال أدواره في مجالي التدريس والبحث العلمي العديد من النتائج المهمة إلا أنها لم تحظ بواقعية الوجود الفعلي، لوجود بعض نواحي القصور في مجالات دعم التعليم الجامعي وبخاصة عندما أضيف إليه دوره في خدمة المجتمع لتطوير بيئته ، في ظل انعكاس آليات العولمة الاقتصادية

obeikan.com

على السياسات المالية للدول الأمر الذي نتج عنه أزمات عميقة ساهمت وقادت إلى تخفيض الموزانات المالية للحكومات ، وانعدام دولة الرفاء الاجتماعي ، كما أدى ذلك إلى خصخصة الخدمات الاجتماعية ، كالتعليم والإسكان والصحة وغيرها، وبذلك صار المجتمع المصري أسير نقيصين :

- ✓ **الأول** : نموذج التهميش الاجتماعي للذين لحق بهم الفقر.
- ✓ **الثاني**: نموذج استحواذ اقتصادي لا يبغي سوى الربح ، وتحقيق المزيد فيه، وقد انعكس ذلك على التعليم الجامعي ، حتى صارت معادلة تحقيق الأمان النفسي والاجتماعي من خلاله صارت من المستحيلات، لأن السياسات التعليمية في التعليم الجامعي هي وجه من وجوه السياسات الاجتماعية .

والتعليم الجامعي بذلك يقف على مفترق الطرق ، فإذا استمر في أدائه بصورة عادية فإنه يعطي ظهره لما يحدث حوله عالميا وإقليميا ومحليا ، لذلك فإن التعليم الجامعي في مصر يجب أن يكون تعليما من أجل البقاء في عالم متحرك "تعليم وجود " .

فالعولمة تفرض امتلاك عقول مرنة غير ساكنة أو ثابتة ، فمواجهة المواقف الجديدة غير المألوفة للطالب الجامعي تتطلب أن يكون طالبا يتعلم ويعمل ويعيش في مجتمع كوني تحكمه علاقة خصوصية بين ثورته العلمية وثورته التكنولوجية ، حتى لا يشعر أنه يتعايش ويتعامل مع ثقافة اغترابية تفقده أمانه النفسي والاجتماعي .

obeikan.com

والواقع يشير أن من أخطر الآفات التي صارت في تصادم ملحوظ مع كافة قضايا التعليم شيوع وتراكم العديد من التصورات المخلة بحيوية وصيرورة قضايا التعليم حيث البراجماتية التي تختزل الواقع المتعدد والذي يسير نحو التحول في بعض جوانبه ، فيفتقد الواقع بذلك النظرة الشمولية التي تحاول توصيف البدائل والحلول لبعض المشكلات التعليمية وبخاصة في التعليم الجامعي حيث صارت مخرجاته لا ترقى إلى المستوى المطلوب .

ويستدعي ذلك في مجال التعليم الجامعي تفعيل نشر وعي نقدي يطال كافة الماثل في واقع التعليم الجامعي يتم من خلاله تجاوز السائد والمألوف ليؤسس بذلك فهما عميقا ومعرفة مؤصلة .

لأن هذا الوعي النقدي سوف ينتشل التعليم الجامعي ، من عملية تجميد الواقع التعليمي ، لأن التعليم الحالي في فضائه الحالي أصبح أداة عزل حضاري ، يكرس لثقافة التصديق والتسليم بما هو قائم ، ومن ثم تغيب وتتلاشى ثقافة التساؤل والتحقق ، فالتغيير أمر حتمي وضروري وحقيقة لا تحتاج إلى تأكيد وها هو " هيراقليطس" (500 ق.م) يؤكد هذا المبدأ: "كل شيء يتغير إلا قانون التغيير وأنت لا تنزل نهرا واحدا مرتين " .

البديل مع المبرر ضمن منظور الروابط المستجيبة مع الفهم:

وقد ضم التعليم الجامعي خلال العقود الأخيرة بين صفوفه أعدادا من الطلبة الذين تم تجريف ذاكرتهم ، وتبوير عقولهم وتزييف وعيهم من قبل الجماعات المتطرفة فكريا وعقديا ، ونظرا لانعدام التأسيس الفكري الواعي والمستنير لهم ، وفقدانهم عنصر الأمان الاجتماعي ، فقد أدى ذلك إلى انخراطهم في صفوف هذه

الجماعات التي احتوتهم بغطاء الدين حيث ادعى قادتها ملكيتهم "للوحي" متجاوزين بذلك أصول العقيدة بانقطاع الوحي ، وقد زاد من ذلك تمادى بعض أعضاء هيئات التدريس في الجامعات المصرية مع تلك الجماعات المتطرفة وانعكس ذلك بوضوح في الأحداث الأخيرة التي وقعت بمصر عقب ثورة الثلاثين من يونيو عام 2013 .

وقد كان تزييف وعى هؤلاء الطلبة هو محور هذه الإرادات التي انخرطت في صنع تاريخ يستمد شرعيته من الوحي المزيف ، الذي اخترعوه بصفته لغة لتوطين كينونة تتشخص عبر التمثل الديني .

وبما أن موت النبي (ﷺ) شكل حدثا أساسيا ، يتمثل في انقطاع لغة الوحي فإن كل إرادة قوة محفزة الآن ، لتساهم في خلق موقعها داخل السلطة ، لتمثل استمرارا للنموذج النبوي الديني .

وهنا تبرز قوتان أساسيتان تطمحان إلى اكتساب شرعية داخل السلطة:

القوة الأولى:

هي التي وصلت إلى السلطة في مصر بعد أكثر من ثمانين عاما تنوع فيها تاريخها بين العنف تارة والمهادنة تارة أخرى حيث تعتبر نفسها العامل الأساسي الحاسم لانتصار سلطة الوحي التي تعده لنفسها وللعبها دورا آخر مع قوى خارجية كأداة لتفتيت مصر والمنطقة العربية وهدم كيان الدولة المصرية لصالح قوى الاستعمار الخارجية ، وهذه القوة ليست مؤهلة لتمارس دورها من موقع المباشرة الفعلية للسلطة وقد ثبت فشلها عندما تولت السلطة عاما كاملا لعدم اعترافهم بالوطن وحدوده بالإضافة لانتمائها للقوى الخارجية التي تمولها وتقوم بتوجيهها

obeikan.com

وقد أكد ذلك عدم انتمائها لمصر فصار الشعب المصري عليها في الثلاثين من يونيو وهى قوة تحمل وجهة نظر أحادية مفتقدة إلى أي إرهاصات ديمقراطية أولية ، تؤمن بالإقصاء التام للقوى الأخرى بقدر ما تدعو إلى انخراطها في تأسيس مشروع مشترك كما أنها لا تؤمن بمبدأ التناوب والتعايش وتقاسم السلطة.

القوة الثانية:

وهى قوة تتخذ الدين أيضا غطاء لمشروعها وتحمل أيضا وجهة نظر أحادية البعد وداخل هذه القوة تيارات عنف متباينة ، وتفهم السلطة على أنها نزوع وراثي ينتقل بين أبناء الجذر الواحد لا غيره ، ومن ثم وجب إقصاء القوى الأخرى ، وهذا امتثال واضح لمنطق الاستبداد الديني حيث شهوة السلطة تتقدم لتحرك دينامية العزل و الإقصاء وامتلاك الحقيقة المطلقة ، فلا أحد سواهم يفهم الدين إلا هم وصولا لشرعية السلطة المؤسسة على استخدام الدين كنقطة عبور لطلبة الجامعة ، وبما أن هذا الخط " ميكيافيللى" يرى الغاية هدفا أسمى للمصلحة ، فإنه يلتجئ إلى كل الوسائل لتنفيذ هدفه.

إننا هنا بإزاء أنا متعال (ترتسندنتال) يتجاوز الأرضي ليلج ما بعده يتوحد بالغموض محتفظا بالسر في الوقت نفسه الذي يدمر فيه الزمان الحاضر لينفي لغة المستقبل ويستضئ بالمجاهيل ، إن كينونة هذه الأنا المتعالية تتقوم داخل قواها وأفعالها كل المعاني المحتملة لتؤول وجودها .

وهاتان القوتان اعتمدت "الأسمانية" وعاء لها (الأسمانية مذهب فلسفي يقول بأن المفهومات المجردة أو الكليات ليس لها وجود حقيقي ، وأنها مجرد أسماء ليس غير) ، فالحقيقة كلها في الاسم الذي يسميها .

إن الإبدال المحوري لهذه القوى سيتحقق من خلال محاولة الكشف عن رهانات الخطابات الخاصة للتعليم الجامعي نحو تحقيق الأمان النفسي والاجتماعي لطلبة الجامعة وهذا ما يستلزمه فعل الإبدال لتوجيه هؤلاء الطلبة عمليا و نظريا نحو التحقق والاستنارة الفكرية التي تجعلهم يرون المستقبل برؤى تقدمية مفارقة للثبات المقدس باعتبار ذلك مدخلا لتحقيق مادية الخطاب التعليمي والتربوي الموجه الذي يراد تحقيقه بعيدا عن توظيف مفهوم الدين واستغلاله في العمل السياسي ، فتتبدى بذلك الهويات المغلقة والمتنافرة ، خشية أن يفهم أحد حقيقتها هذا القوى التي لحق بها العديد من المحاذير التي ظلت تاريخيا عائقا أمام القدرة على التخلص منها ، و محاولة تعميد وتطهير الذات .

علاقة الذات بالآخر:

إن مسألة الهوية وطبيعة الذات بالآخر من المسائل الجوهرية التي رافقت الهويات المغلقة والمتنافرة ، كما تزايدت رهانيتها وحتمية تفكيك مقولتها مع الثورة الشعبية الناهضة في الثلاثين من يونيو التي أزاحتهم باعتبارها ثورة تحافظ على تماسك الأمة والوطن وسلامة أراضيه و تبرز هنا أهمية وقيمة التربية كونها المآل إلى تنشئة أجيال مستنيرة ذات قدرة ناقدة وحس وطني حريصة على مصلحة الوطن ، تزود عن دينها باستنارة وعلم وليس بالجهل والطاعة العمياء لمن استغلوا الدين غطاء وعباءة يتدثرون بها ، بهدف الوصول إلى الحكم ، وتنفيذ أجندات خارجية الهدف منها انهيار الدولة المصرية وتدمير كافة مؤسساتها .

وللتربية سلطة الفصل والوصل التي بها تتحقق الولادة المرتقبة ، بالاندماج في حركة الكون ، لأن الاندماج عامل من عوامل السمو والحركة العلائية ، وهذا الاندماج يغرى بالحفر في الذاكرة ، وفي الاندماج وسياقه يتم تعميد الذات بغية التطهر ، وبعد ذلك تمس عملية التطهر الواقع المحيط من أجل تجلية الصدأ ، ولحم عناصره ويتم التخلص من المفروض قسرا .

إن نتيجة الإرهاب والعنف الذي تمليه الهويات المغلقة والمتنافرة يؤدى إلى اكتشاف الآخر وتخطى اللحظة الحاضرة فكل شيء في وقتنا الراهن يدعو إلى التأمل ألاستشرافي ، وحتى في الحالة التي نعود إلى دراستها في الماضي في شموليته فإننا ننظر إليها بوصفها حقبة زمانية مرهونة بالمستقبل ضمن تطابق تزامنى .

ذلك لأن العقل مطالب في جميع تصوراته بتصيير الأحداث لكي تغدو متسقة مع إرادة الأزمنة الحديثة لذلك ليس في وسع باحث أن يحاول إخضاع ضرورة طبيعة الحياة في مستجداتها إلى الماضي التاريخي أو إلى انفصال التراث عن مسارنا الاجتماعي .

تحرى الوعي المصر لوجوده الحضاري:

إن ما حدث في ثورة الثلاثين من يونيو عام 2013 تجاوز تماما وعى السلطة الحاكمة آنذاك ، ووعى المعارضة معا ، فقد تجاوزت تلك الثورة كافة المشاريع القومية والليبرالية والإسلامية وخلافها تلك التي طرحتها النخب في الوقت الذي كانت فيه الجماعات الطائفية تصعد من أعمالها لتفكيك الوطن وإسقاط مشروع الدولة ، فقد ابتكرت ثورة الثلاثين من يونيو سلطة المشروعية العمومية وأنهت الاستقطاب الفكري والسياسي والديني كما أنهت تسيد الفكر الطائفي الحدي

الذي رسخته جماعات الإسلام السياسي لتمزيق النسيج الوطني ، في الوقت نفسه التي كانت فيه الجامعات المصرية تمتلئ بأصوات المتطرفين بين طلابها فأنعدم بذلك الأمان النفسي والاجتماعي فأنت أمام عنف وإرهاب ليس له مبرر إلا المصلحة الضيقة لتيار يدعى الحقيقة المطلقة حتى صارت بعض الجامعات المصرية ساحة للعنف المنظم و المدفوع الأجر.

فالأزمة الآن هي أزمة في العقل والوعي وليس في الواقع ، الأزمة ارتهان لسيطرة جماعة منظمة على عقول طلبة الجامعات في توقيت غابت فيه عنهم أدوار الجامعة لنشر التنوير والوعي ، وتحصين هؤلاء الطلبة ضد العدمية و الظلامية والإرهاب التي أرستها طوائف العنف والإرهاب ذات الفكر الواحد المتسلط المغلوط لهذه الطوائف الذي يؤصل لانغلاق الأفق الثقافي .

ويصور لنا ذلك أزمة التعليم الجامعي الذي افتقد الهدف الثقافي الوطني المحدد ، والاتجاه الواضح نحو مخرجات جامعية تقضى على التناقض والالتباس الذين تعانى منهما بنية التعليم الجامعي وصارت شعارات مثل (الإسلام هو الحل ، والحاكمية ....إلخ) مفروضة على عقول شباب الجامعات ومقصور تفسيرها على فئة ادعت لنفسها ملكية النص الشرعي ، حتى طرح سؤال نفسه على الساحة لدى شباب الجامعات : من سيحكم في حالة قيام دولة إسلامية.... هل البشر أم النص ؟.

فهذه المسألة قد حسمها على بن أبى طالب حين كان يخطب من على المنبر والخوارج يصيحون "لا حكم إلا لله" ، فقال: "كلمة حق أريد بها باطل".

وقد اختبر هذا التيار إمكاناته بين طلبة الجامعة من خلال الممارسة اليومية حتى صار بعض االطلبة طوعا لينا لقيادة هذا التيار فقد طرحوا كل ما لديهم داخل الجامعات المصرية مختبرين إمكانات ما يحملونه من حقيقة أو وهم ، حتى أدخلهم ذلك في "جدليات السلب الذاتي" فهو نفي وسلب مستمر للتوهم الواقعي ، حتى تم كشف القشرة الزائفة التحى يتسترون حولها .

فللأمة المصرية مجدها هو ماضيها المبدع ، فالمورث الثقافي له قيمته ، والنص المقدس ملزم للجميع ، ولكن الكثرين مما يقعون في الخلط في التراثي وجعله كله مقدسا حيث يأخذون بتراث التقليد والإتباع ويهجرون تراث العقل والإبداع ، فتكون المخرجات دون إبداع لا تعبر عند تعددية الرؤى وقيمة الاختلاف ، من أجل صالح الوطن والأمة .

فنجد في توجههم هذا بعدا عن سماحة الرسول (ﷺ) بقوله في مسألة "تأبير النخل" أنتم أعلم بأمور دنياكم ، فقد شرع شرعة للعقل موازية لشرعة الوحي، ومفهوم المخالفة هنا: (أنا أعلم بأمور دينكم ، وأنتم أعلم بأمور دنياكم).

لذلك علينا أن نتعامل في تصوراتنا داخل الجامعة من خلال وجود تحديات، وهذه التحديات يجب تشخيصها للبحث عن استجابات صحيحة لها ،

ومن بين تلك التحديات:

1. الاتجاه إلى تنشئة عقل مبدع ناقد .
2. تعزيز السير نحو الفكر العلمي.
3. الاعتصام بالاستنارة في الفكر الديني لمواجهة التطرف والعنف والإرهاب.
4. التأكيد على قيم الحرية التي لا تقود إلى الفوضى.
5. تأصيل فكر العدالة الاجتماعية ومقاومة التهميش والاستبعاد الاجتماعي.

obeikan.com

نوستالجيا التربية
ونزوع الصيرورة المستقبلية

تؤسس ثورة الخامس والعشرين من يناير عام 2011 لعقد اجتماعي جديد، وفلسفة اجتماعية مغايرة للفلسفة الاجتماعية التي كانت قبلها ، مما يترتب عليه توجه تربوي برؤى قادرة على استيعاب مستجدات تلك الثورة من غياب طبقات كانت حاضرة في المشهد و تيارات سياسية كان موجودة ولكنها أزيحت بفعل فاعل ، غير أن ثورة الخامس والعشرين من يناير قد جعلتها في صدارة المشهد ، وأكدت على وجود فكر جديد وسياسات جديدة قد يتفق معها المجتمع وقد يختلف إلا أنها صعدت وأكدت تواجدها .

حدث هذا من خلال وسائل تكنولوجية ساعدت بشكل سريع على اشتعال الغليان بين شباب مصر وطوائفها الشعبية من خلال (الفيس بوك) وغيره في ظل ثورة معلوماتية وتكنولوجية لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية وكان على رأس ذلك ظهور تكنولوجيا المعلومات التي هزت علاقات الإنتاج الصناعي وخلخلت الركائز الأساسية لمنظومته الاقتصادية ، كما أنها ساعدت بشكل جاد في الكشف عن مدى الخلل في النظم السياسية ومن بينها النظام المصري الذي تهاوى سريعاً أمام المظاهرات السلمية عالية الأداء التي دعا لها الشباب المصري من خلال (الفيس بوك) من خلال تحديد الزمان والمكان ، حيث وفرت تلك التكنولوجيا المعلوماتية وسائل عملية للاتصال والتفاعل مع واقع تعقدت فيه ظواهر المجتمع ، ولم يعد أحد يعرف بالتحديد ماهية الأشياء والنظم لاضطراب الأمور حيث أصبح

obeikan.com

كل شيء غير قابل للتوقع وسط فوضى تراكمت في المجتمع المصري وتواكبت مع حرمان معظم الشعب المصري من خيرات وطنه ووصل الحال بتكريس مسألة الإفقار كنوع من التعمد حتى يظل الشعب المصري تحت خط الفقر ويقضي كل وقته في البحث عن رغيف الخبز، وانصرافه بعيدا عن المشاركة في الحياة العامة بشكل إيجابي ليظل غائباً عن المشهد دون فاعلية ومشاركة ليتسنى للنخبة الحاكمة تمرير سياساتها وفلسفتها المسيطرة على المجتمع من خلال تجريف ذاكرة الشعب المصري وتبوير عقله وتزييف وعيه ، ولكن الشعب المصري وفي مقدمته الشباب المصري ثار على ذلك من خلال شعاره (عيش حرية عدالة اجتماعية) وسارت ثورة الخامس والعشرين من يناير إلى نقطة اللاعودة ، حيث تصاعدت حدة سقف المطالب لشباب الثورة والتي تمحورت حول إسقاط النظام بكل رموزه وأفكاره وفلسفته ليتم تقويض أركان نظام فاسد قضى على كل شيء في مصر ومن بين ما تم القضاء عليه بشكل متعمد كان التعليم الذي هو في الأصل أساس التقدم وصنع الحضارة .

لذلك كان لابد النظر بعين الجدة في واقع النظام التربوي المصري الذي يتطلب تغييراً يصنع تقدماً حضارياً وتفعيل رؤية تربوية جادة تعبر عن فلسفة اجتماعية جديدة في ظل تلك الثورة المصرية العظيمة .

والمتأمل في واقع مصر قبل ثورة 25يناير يجد في كل شارع من شوارع مصر ما يدفع إلى التأكيد على أن هناك غلياناً يشتعل في بنية المجتمع المصري نتيجة لعدة عوامل منها سياسي ، اقتصادي ، اجتماعي ، وكان أهمها الإحساس بفقدان الكرامة الإنسانية التي هي غاية التربية في بنائها للإنسان المصري .

وقد كانت التربية في واد من خلال جهود باحثيها حيث لم يتلف صانعو سياسة التعليم في مصر لجهود هؤلاء الباحثين الجادين ، وذلك لتفعيل أبحاثهم في تنمية بشرية تقوم على الحرية والعدالة وتحقيق الكرامة الإنسانية .

فكانت ثورة الشعب المصري العظيم بقيادة شبابها ترفع شعاراً (عيش ـ حرية ـ عدالة اجتماعية) وهذا الشعار يتم تلخيصه في كلمة واحدة هي الكرامة.

والكرامة ترتبط في تفعيلها بإنسان يحيا على أرض وطنه عزيزاً مكرماً في حرية حقيقية وديمقراطية جادة ومناخ إنساني يتيح لكل فرد من أبناء المجتمع المصري أن يقدس وطنه الغالي بانتمائه الصلب لهذا الوطن وإيمانه بحقه في الحياة الحرة الكريمة.

ـ فلسفة جديدة للواقع التربوي بعد ثورة 25 يناير :

بعد ثورة 25 يناير 2011 يشير الواقع الحضاري المصري في ظل ما يحدث من حولنا في العالم إلى ضرورة مساءلة الواقع التربوي ، والإصغاء إلى كافة الإجابات هذا بالإضافة إلى مساءلة التاريخ وتقبل حكمه لتجاوز هذا الحكم رغبة منا في تخطى واقع تربوي مؤلم يتطلب بلورة وعى تربوي يقوم على فلسفة جديدة وبخاصة أن الواقع المصري صار مفتوحاً على كل الاحتمالات .

وتشمل هذه الفلسفة في مضمونها عدة أبعاد منها .

(أ) عدم الخضوع لسلطة منطق تقليدي :

المنطق التقليدي لا يستطيع الإجابة عن أسئلة الحاضر والمستقبل ، لأنه لا يمكن أن ينتج بالتالي سوى إعادة إنتاج لما هو مألوف ومطروح دون نقد مبدع وخاصة مع القرب من تحليل الأبنية المعرفية بغرض تجديد تربوي حقيقي فإن

ذلك يعنى إجمالاً إدخال بعض العناصر الجديدة نظرياً ومنهجياً للاستفادة منها في أعادة البناء والهيكلة لبعض الأساليب والطرق الفنية والممارسات بهدف إغناء وإبداع الخبرة التربوية .

إذا كان مفهوم التطوير التربوي يراد به في محل دلالاته إثراء الممارسة التربوية وذلك عبر التدخل المخطط في قطاعات أو مجالات معينة منها بغرض تنميتها وتفعيلها بشكل يجعلها منسجمة مع بعض الأهداف والغايات والمستجدات التربوية أو الاقتصادية أو التكنولوجية أو الثقافية والعلمية ومستجيبة أيضا لبعض الشروط والرهانات والتحديات التي تطرحها وضعية المجتمع بعد التعرف علمياً على مكونات ومشكلات هذه الوضعية عبر بحوث علمية موجهة ومحددة الأهداف والتي أصبحت تعرف ببحوث التدخل أو التطوير أو الانتماء [1]

لذلك يتبدى لنا ضرورة الإصلاح التربوي دون النظر إليه فقط في أبعاده التقنية وفي ظرفيته ومحدوديته ، بل ينظر إليه على أساس أنه إجراء شمولي يفترض فيه أن يشمل كل أنماط التربية والتعليم والتكوين بمختلف مكوناتها وصولاً إلى الحقل الاجتماعي ومجالاته ، وذلك بمرجعية تقدمية هي الأقرب إلى ملامسة الأوضاع التربوية والتعليمية في مصر.

(ب) تأصيل الوعي في مجرى الوجود الأنطولوجي:-

إن أزمة الفكر التربوي اليوم هي أزمة اغتراب الوعي وتشتت مؤشر الزمان والتاريخ فالإنسان المصري على صعيد الوعي يعيش مندمجاً في المنظومة التاريخية الغربية في تقسيم التاريخ إلى عصور قديمة ووسيطة وحديثة ناسياً أن ما كان عصور وسطى بالنسبة للغرب كان عصور حديثة بالنسبة إلينا وذلك على مستوى

obeikandi.com

الإنسان العربي ككل وما هي عصور حديثة بالنسبة إليه هي عصور وسطى بالنسبة إلينا هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإنسان العربي يعيش الحاضر ويعايشه بوعي الأزمنة الماضية بخلافاتها وصراعاتها أي يعيش الماضي في الحاضر.

وعلى هذا الأساس فإن منظومة الفكر التربوي تتطلب تحليل مساراته الصاعد ة والهابطة ، وتحديدها تحديداً فكرياً ومنهجياً دقيقاً وبنائه من جديد في وعى الأمة ووجدانها وذاكرتها الجماعية وهذا بدون اغتراب أو انفصال .

وتفرض الثورة الاتصالية الكبرى وعياً كونياً من خلال البث الفضائي التليفزيوني وشبكة الإنترنت وقد أتاحت هذه الثورة لملايين البشر في كل مكان مشاهدة الأحداث في الزمن الواقعي لحدوثها مما أتاح تبلور ثقافة كونية من بين مفرداتها الأساسية التسامح والاعتراف بالخصوصيات الثقافية للشعوب ونبذ وإدانة العنف على الحريات وبروز النضال ضد الفساد والقهر والفقر. أي أننا نعيش زمن العقلانية والانفتاح الكوني والتعاطف مع الآخر والأهم نضال الشعوب لاسترداد كرامتها كما حدث في ثورة 25يناير في مصر، على الجانب الآخر نعيش ارتدادا سلبياً إلى الطائفيات والمذهبيات بل وأكثر من ذلك تطور التقاليد القبلية لتصبح قبائلية جديدة ، ساعدت على نشوئها ثورة الاتصالات التي جعلت الجماعات المتعصبة سياسياً أو ثقافياً أو دينياً تنشئْ لنفسها مواقع على الإنترنت، وتحشد الأنصار في سباق إنتاج خطابات متعصبة تمجد الذات وتعادى الآخر المختلف سياسياً أو ثقافياً أو دينياً [2]

في نفس الوقت الذي ظل فيه التعليم في مصر بدون توجه أو هدف لما يتطلبه تطوير نظم وتنمية المعلومات ومجتمع الاتصالات من طريقة منهجية

جديدة تنطوي على تعريف جديد للمعرفة بصرف النظر عن جذورها وقد فتحت ثورة الخامس والعشرين من يناير نوافذ جديدة في مجال الفلسفة التربوية باتجاه العقلانية الجديدة التي لا تقوم على علاقة سببية ولا على تفسير للواقع الذي يفترض أن الواقع يصعب تغيره ويخضع إلى القوانين التي يمكن أن تعرف .

ويعتمد عصر المعرفة على معرفة مختلفة هي المعرفة التي لا تنظر إلى التغيير على أنه تمزيق للنظام الراسخ لكن على الأصح كتجديد مبشر ، وهى أيضاً المعرفة التحى لا يكون العلم فيها مجرد وصف للقوانين الطبيعية وتفسير الظواهر ، لكنها تنطوي بالإضافة إلى ذلك على تغيير الطبيعة .(3)

ومن ثم تفسح مكاناً جديداً لإعلاء شأن الإنسان وبنائه بحيث لا يكون إنتاج المعرفة شيئاً و الأخلاق شيئاً آخر .

(ج) حدود الممكن و المستحيل والواقعي والاحتمالي في التجديد التربوي:

تتعثر خطة التجديد التربوي في مصر بشكل لا يخفي على منظري التربية ومرد ذلك التعثر يعود لأسباب كثيرة ومتشعبة إلا أن هناك بعض الأسباب هي بمثابة الأساس الأول لتعثر مسيرة التجديد التربوي **ومنها :**

(أ) خضعت قرارات التجديد التربوي في الثلاثين سنة الماضية في أسسها وتوجهاتها الفكرية لتعليمات وتوصيات بعض مراكز القرار في الغرب ومنها على سبيل المثال صندوق النقد الدولي وبالتالي فلا يرجى من وراء ذلك خدمة المصالح الاجتماعية لمصر أكثر من خدمة المتدخلين في صناعة القرار ، إما بشكل مباشر أو غير مباشر لأهداف ومصالح تلك الجهات ، كما قد نجد توجه هذه الإصلاحات نحو بذل مجهودات ترتفع تكلفتها

الاقتصادية والاجتماعية وغالباً ما تكون يائسة وبدون جدوى وذلك حين مراهنتها على تحقيق أهداف تربوية وتنموية غامضة غير محددة وغير واضحة في توجهاتها الفكرية والمستقبلية ومغرقة في التعميمات وفي الشعارات السياسية مثل تعميم التعليم ، ومقراطته ، وتنمية التمدرس .

(ب) كما تغرق هذه التجديدات بين بينات اقتصادية واجتماعية تم تشويهها بفعل التبعية أو أنها ما تزل في أوضاع التخلف مخترقة بالكثير من الممارسات اللاعقلانية معتمدة في أوضاعها على العلاقات الزبونية ، والقرابية ، والولاءات السياسية والاجتماعية المتعددة المنافية لكل قيم العلم والعقلانية والتنظيم والتخطيط واحترام الاستحقاقية والكفاءة ووضع الإنسان في المكان المناسب إلى غير ذلك من قيم الترشيد والتحديث التي تقوم عليها النظم الاجتماعية العصرية والمتقدمة .

وعلى هذا الأساس يمكن للتوجه التربوي الصاعد بعد ثورة 25 يناير النظر بعين الفحص والنقد لإحلال قيم جديدة صاعدة تتوخى في صعودها تلافي ما سبق في إطار من الشرعية الوطنية حتى تنتهي التعثرات التي يمكن أن تفوق جهود المهتمين بإقامة نظام تربوي يستجيب لقوانين الجدة والحركة وصنع حضارة بحوامل معرفية يكون الأصل فيها نظام تربوي قادر على تخطى المألوف وتجاوزه لأفاق أكثر قدرة على النمو والاستمرار في التقدم .

ـ الحاجة إلى فلسفة القوفعل (تطابق القول والفعل)

إن أهم ما يميز الفكر الفلسفي المعاصر هو تجاوز الميتافزيقيا ، ومراجعة مفهوم الحقيقة ، ففي تاريخ الفلسفة يمكن أن نميز بين ثلاث لحظات فلسفية كبرى أسست للأنساق الميتافيزيقية ونصت على الحقيقة **وهى :**

- ✓ لحظة أفلاطون ، ولحظة ديكارت (1597 ـ 1650) ولحظة هيجل (1770 ـ 1831) . فالوجود كله عند أفلاطون يؤول إلى عالم المثل الذي يمثل عالم الوجود الحق ، وأصبح معيار الحقيقة هو التطابق بين الشيء وصورته ، أو بعده تأتى لحظة ديكارت حيث يصبح الأنا منذ ديكارت الموضوع المتميز والمفضل للميتافيزيقيا وتصبح الحقيقة تتحدد كموضوع للتمثل، كيقين للتمثل [4] أى أنه مع ديكارت أصبحت الذات هي أساس كل حقيقة وتحددت الحقيقة كمرادف لليقين .ومع هيجل ظلت الحقيقة ترتبط بالحضور والتطابق الذي يتأسس على العقل الكلى ، وهذا ما دفع ميشال فوكو إلى القول: مع هيجل اكتملت الميتفافيزيقيا[5]أى تم تحديدها تحديداً دوجمائياً وهو التحديد التقليدي للحقيقة الذي يقوم على أنها هي الشعور بالتطابق التام بين القول والفعل أو بين العبارة المقولة والشىء الخارجي المحسوس الذي يشير إليه ، أو بشكل عام بين اللغة العادلة والتجربة أو المعرفة العملية التي يشكلها كل شخص عن الواقع .

وتأسيساً على ما سبق فإن واقع التربية في مصر لابد أن ينطلق نحو آفاقه الرحبة بتطابق القول والفعل في كافة الخطابات الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها **ويتطلب ذلك الآتى :**

أ ـ العقل النقدي :

الحاجة إلى عقل نقدي في سياق ثورة المعلومات التي أدت إلى تدفقها في كل المجالات المعرفية مما يستدعى ضرورة وجود عقل نقدي قادر على تصنيف وتحليل هذه المعلومات ، وهو الوسيلة الوحيدة لتحويل المعلومات إلى معرفة لأن المعلومات بذاتها ليست معرفة . (6)

ب ـ تأصيل الخصوصية :

النظر إلى الخصوصية باعتبارها قضية وطنية بعيداً عن تضخم الذات والتغني بهوية الماضي والابتعاد عن خلق إشكالية جدلية بين الكونية والخصوصية ومد الطرف إلى التثاقف بين حضارات الشعوب بعيدا عن الهيمنة على أن يكون التثاقف بناءً باعتباره يمثل مرجعية ثقافية كونية .

ج ـ العدالة الأجتماعية :

أن يحتوى الخطاب التربوي في تجلياته محوراً هاماً في حياة الأفراد وهو العدالة الاجتماعية بحيث يتم إيجاد فرص تعليمية ووظيفية لمن يطلبها وتوزيع ثمار التنمية بشكل عادل يرفع من مستوى المعيشة في الريف والحضر ويعطى تكافؤاً في الفرص ، ويعمل في الوقت نفسه على إنصاف الأجيال بحيث لا يجوز رفع مستوى معيشة جيل على حساب جيل آخر.

د ـ الديمقراطية الحقيقية :

اعتماد الديمقراطية وسيلة وغاية لتحقيق تعليم متقدم يتيح الفرصة أمام الناشئة في شق طريقهم نحو الإبداع والابتكار تمهيداً لخلق جيل من العلماء في شتى نواحي الحياة من خلال تنمية بشرية مستدامة .فالأسلوب الديمقراطي

obeikan.com

يفرض علينا طرح كل الأفكار أمام الجميع وأمام أوسع الدوائر انتشار في الرأي العام والمتخصصين للإدلاء بآرائهم في ملامح الإصلاح التربوي وجوهره وأهدافه ، حتى يكون هذا الإصلاح انعكاساً حقيقياً لرغبات الشعب المصري واحتياجاته الفعلية ومبادئه وكل القيم التي آمن بها .

هـ ــ التربية السياسية :

أن يتم تسليط الضوء على بعض جوانب القصور في مؤسسات ومناهج وأنشطة التعليم المصري والتأكيد على قيم المواطنة والتربية السياسية التي تعنى المشاركة الجادة والتعبير عن الرأي بحرية وربط الفرد بالمجتمع ووطنه انتماءً وعملاً، مع التركيز الجاد على الأنشطة التربوية وبعدها عن الورقية .

ع ــ تكافؤ الفرص التعليمية :

التأكيد على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية على أن يكون مرتبطاً بالاستعدادات والقدرات العقلية والمعرفية بعيداً عن التمايز الاجتماعي والمادي والاستمرار في مكتب تنسيق القبول بالجامعات كونه الضامن الرئيسي لوصول أبناء الطبقات الفقيرة إلى مواقعهم التى يستحقونها .

و ــ الالتحام بمستجدات العصر :

الالتحام بثورات العصر الثلاث والتي تبدت في الثورة التكنولوجية واعتمادها على المعرفة العلمية المتقدمة ، والدفع باستخدام أمثل للمعلومات المتسارعة والمتدفقة ، مع الالتحام الجاد بثورة التكتلات الاقتصادية التي اجتاحت العالم في السنوات الأخيرة لاستيعاب كافة المستجدات وتطويرها ، والسير على

طريق الثورة الديمقراطية والتحرر من الحكام الطغاة حيث مجتمعات شرق أوربا وشرق آسيا وثورات الربيع العربي في تونس ، مصر ، ليبيا ، اليمن ، سوريا ... الخ .

فتنمية القدرات البشرية لابد وأن يتم من خلال تجديد تربوي قادر على الاستفادة من كافة التجارب الناجحة . لأن من أهم الإشكاليات التي تواجه التجديد التربوي تنمية الطاقات البشرية الكامنة والمهدرة والمهشمة وتوسيع وترسيخ وتطوير مقومات الثقافة الوطنية والقومية المشتركة ، وعقلانية التعدد والتنوع في الرؤى بما يوفر التماسك الاجتماعي ، والتفاعل في إيجابية ناقدة ومتعلمة مع الحضارات الغربية حتى نتقصى الأساليب المجتمعية والجهود البشرية التي استثمرتها في انجاز ما حققته من منجزات إنسانية نكتسب منها معارف ومناهج جديدة لا حلولا جاهزة ،نستوعبها بصورة ناقدة ثم تعيد صياغتها في ضوء ما يتطلبه واقعنا من حلول المشكلات . [7]

وفي إطار ذلك فقد بات من الضروري أن تعتمد التربية في توجهاتها المستقبلية على ثقافة المقاومة وأن تكون تربية من أجل حرية الإنسان وتنوع ثقافته وأن تكون تربية للإبداع لا للنقل والمحاكاة تحمل في طياتها رفض المستهلك والتمرد على الثابت والجاهز والمعد لأن ذلك سوف يؤدى إلى نهضة عقلية وحرية فكرية قادرة على مد جذور التواصل الحضاري تحقيقاً لنهضة تخلق وجوداً ثقافياً وحضارياً في عصر التحديات الكبرى . وسوف يقودنا ذلك إلى ضرورة تبنى علم اجتماع معرفة يقوم على أطر وضوابط لابد من توافرها لنتمكن من تجاوز عقدة الأصالة والحداثة، أو التراث والتجديد أو غير ذلك من ثنائيات مثل الدين

والعلمانية وتلك أزمة منهجية تحتاج تحديد بعض الضوابط في البحث عن الهيكل النظري للتعميم والخصوصية في علم اجتماع المعرفة ، **ويتطلب ذلك :**

ـ الحاجة إلى علم اجتماع معرفة جديد :

(أ) ـ اعتماد جملة أنساق فكرية مترابطة عضوياً لخلق ذهنية مصرية تستطيع توليد رؤى وأفكار خروجاً من أسر الثنائية والمراوحة في المكان .

(ب) ـ إيجاد صيغة قيمة يتم إنتاجها من تفاعل الرؤى والأفكار ، لأن القيمة معنى و رمز وذلك في أنماط العمل الاجتماعي .

(ج) ـ صياغة جيدة لنظام العلاقات بين الأنساق الفكرية والقيم من جانب وقوى الإنتاج في المجتمع من الجانب الثاني .

(د) ـ الانفتاح على كافة الأشكال المعرفية بالاكتشاف أو بالإضافة لإثراء المعرفة المجتمعية من خلال ثقافة نقدية لتحقيق تقدم ممكن .

وعلى ضوء ما سبق وفي ظل استمرار ثورة 25 يناير والإصرار على تحقيق أهدافها فقد وضعت ثورة 25 يناير المفكرين والتربويين في أزمة معرفية ومنهجية ومنطقية أمام دورهم الذي يتطلب إعادة النظر في النظام المعرفي والإيدلوجى للعقل المصري لأنه الأساس الفكري المحرك للواقع والشعب ، فقد غيرت الثورة من فقه الأولويات المجتمعية ، وأكدت أن العقل ليس أداة تفكير فحسب كما تصور معظم المثقفين ، إنما هو مضمون التفكير. فثورة 25 يناير قامت منذ بدايتها على التفكير، فقدمت التنمية الثقافية والاجتماعية والوجدانية والقيمية على التنمية الاقتصادية والسياسية.

الـهـوامـش

1 ـ مصطفي محسن : الخطـاب الإصـلاحي التربـوي ، المركـز الثقـافي العربـي ، الدار البيضاء 1999 ص 58 .

2 ـ السـيد يسـن : آفـاق المعرفـة في عصـر العولمـة ، الهيئـة المصـرية للكتـاب ، القاهرة 2011 ص 192

3 ـ إبنـى أجـورونـدو : تغير الواقـع ، ترجمـة زيـن العابـدين سـيد محمـد ، مجلـة مستقبليات العدد 145 مركز مطبوعات اليونسكو القاهرة 2008 ص 86 .

4 ـ سالم يفوت : المناحي الجديدة للفكر الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة بيروت 1999 ص 10 .

5 ـ عبد السلام بن عبد العالي : أسس الفكر الفلسفي المعاصر دار تويفال 2000 ص 9 .

6 ـ السيد يسن : أفاق المعرفة مرجع سابق ص 204 .

7 ـ حسن شحاتة : نحو تطوير التعليم في الوطن العربي ، بين الواقع والمستقبل الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة 2003 ص 25

obeikan.com

إشكاليات أزمة التعليم في مصر
مقاربة نقدية

تستهدف هذه الورقة البحثية تحقيق مجموعة من الأهداف المعرفية والاجتماعية والتربوية ، نجمل أهمها وأعمها **فيما يلي :**

- التأكيد على الطابع الإشكالي لأزمة الإصلاح التعليمي والتربوي ، ومحاوله إبراز بعض أبعادها ودلالاتها وارتباطاتها المعقدة بمجمل التحولات الفكرية والاجتماعية والحضارية التي يجتازها المجتمع المصري .
- توجيه النظر في البحث والتحليل نحو محاولة الكشف عن المنطق المتحكم في الخطابات المنتجة حول أوضاع الأزمة ، واستشرافات وتوجهات الإصلاح التربوي والاجتماعي ، وما يؤسس هذا المنطق – ضمنيا أو علنيا – من مرجعيات ومراهنات وركائز فكرية واجتماعية ، ومن حقائق وأوهام ...
- التركيز على أن تكتسي تلك المقاربة طابعا نوعيا لا يتطلب التوصيف التفصيلي والمراكمة المعلوماتية – رغم أهميتها وإنما يستهدف التفكيك النقدي لتلك الأزمة أقوالا وتيمات محورية ، وأوهاما ، ومفاهيم ، وتوجيهات نظرية ومنهجية مرشدة ...كما أن في هذا النمط النوعي من المقاربة دعما رافدا للتراكم المتوفر في هذا المجال التربوي .
- الحرص على أن تشكل هذه الدراسة – ضمن حدودها – مساهمة متواضعة في بلورة بعض مكونات المشروع النقدي الذي يطمح إلى بناء منظور سوسيولوجى نقدي تكاملي ومتعدد الأبعاد لأوضاعنا وقضايانا الفكرية

obeikan.com

والحضارية ، وذلك إلى جانب المشاريع الفكرية ، التي تسير في نفس الاتجاه المنهجي ، مساءلة ، بوعيها النقدي العميق ، واقعنا الفكري والاجتماعي المتأزم .

- الطموح أيضا إلى أن ندفع بهذه المحاولة نحو تكريس نشر وعى نقدي بمختلف المشكلات والخطابات... التي تعج بها الساحة الفكرية والتربوية في مجتمعنا المصري ، وعى نقدي حذر يتجاوز الأطروحات والمنظورات التبسيطية والتقنوية، ويؤسس لفهم عميق ومعرفة مؤصلة . إنه الهدف المعرفي الإستراتيجي الذي يجب أن محور الارتكاز في مشروعنا الفكري، وفي كل أعمالنا العلمية المندرجة فيه .، وأن يفهم مقاصدها وأبعادها في سياقها الفكري العام ، لا في خصوصيتها وحدودها الآنية فحسب .

هكذا إذن يبدو ، من خلال الأهداف المذكورة أعلاه ، أننا لا نطمح إلى أكثر من أننا نريد أن نضع المهتمين – عبر هذه الدراسة المتواضعة – أمام مجموعة من المقدمات السوسيولوجية النقدية التي يمكن أن تشكل منطلقا للحفر ، والتساؤل ، والتفكيك ، والنظر ، والتحاور... حول بعض أهم المشكلات والرؤى والأقوال المرتبطة بإشكالية إصلاح نظامنا التعليمي ، من جهة ، كما يمكن أن تشكل ، من جهة أخرى ، أداة للمراجعة النقدية ، وللفهم ، وبالتالي للمساهمة في إنتاج معرفة بواقعنا التربوي والاجتماعي متملكة لقدر لا يستهان به من الدقة والعمق والتكامل والانفتاح . خاصة ونحن نعيش في الظروف الراهنة في إطار " نظام كوني جديد " يحاول أن يؤسس شروط استنبات " ثقافة كونية جديدة " مكرسة لقيم ومفاهيم العولمة

والشراكة والانفتاح والتحاور والمنافسة والتفاهم والتفهم واحتضان التمايز اللغوي والاختلاف بين الثقافات والأعراق والحضارات

إن هذا التوجه الفكري والمنهجي المنفتح على قيم ثقافة الاختلاف والتعدد هو الذي تراهن هذه الورقة على المساهمة في بلورته . وذلك بكل ما تفترضه شروط الممارسة العلمية من تواضع وأعراف وأخلاقيات وتقاليد ، ومن اعتراف واع بالحدود والإمكانات والقابلية للنقد والتحاور والتبادل ، بل وللتجاوز أيضا .

إن الهدف المنهجي الذي تتأسس عليه هذه الورقة في تناول راهن مسألة الواقع التربوي والتعليمي والثقافي والاجتماعي خطابات وبنيات وتوجهات فكرية في مصر تحديدا ، ومن زاوية العلاقة بين واقع الأزمة وشروط الإصلاح ، يستهدف محاولة التفكيك النقدي لبعض الخطابات الرائجة حول هذه المسألة . وذلك بغرض إرجاعها إلى ما يؤسسها من خلفيات إبستمولوجية واجتماعية متداخلة ، والوقوف على ما يمكن أن يترتب على رؤيتها لهذه المسألة من نتائج وتوابعها قد يكون لها تأثير ما – إيجابي أو سلبي – على مستوى تأطير وتوجيه الممارسة الفكرية والعملية في آن .

obeikan.com

أزمة العقل في مجتمع مأزوم

"كل وصف هو نصف الرؤية وكل موصوف هو نسيج الكمال بين العمى والبصر" .

استطاع خصوم العقل في العالم العربي في إعادة مستوى الجدل إلى الوراء قرنا من الزمان بالنسبة للعرب ، حيث يركز العقل العربي في ارتكازه الثقافي على إجترار نتاجنا الماضي من كتب مختلفة الأنواع والمعارف والبطء الشديد فيما ينشر حاليا بما يتيح المجال للعقل لطرح ثقافة للتساؤل فهل يمكن أن نصرف العقل العربي المعاصر إلى ما يفيد بدلا من إعادة المضغ وإعادة إنتاج واستهلاك لتناقضات ما يتم استهلاكه ،العقل والنقل ، العلم والدين ، الذات والآخر لنشر ثقافة مضللة لتزييف الوعي ، من خلال جعل ثقافة الماضي لا إبداع فيها ، فعلى العقل العربي أن يعي قدرة الثقافة أن عندها القدرة على الابتكار من هذا الماضي ، فالثقافة الماضية يجب أن تصبح معطيات معرفية لإنتاج ثقافة حاضرة حاليا ومستقبلا، وإلا تكون في سبيل الزوال ، إذا لم تتأقلم مع الحاضر.

وأزمة العقل العربي أنه لا يعتبر أن العقل هو عملية استدلال دائمة وذلك منطق الأزمة لأن العقل في جوهره هو عملية استدلال دائمة ،والاستدلال معناه أن يكون عندي نقطة جاهزة معدة ،ثم أتخذها مرتكزا للقفز إلى النتائج والأهداف ،والعقل انتقالي في طبيعته ، وكل معرفة تأتي في لحظة سكونية منوط بها العقل لذلك فإن الإدراك العقلي للمعرفة استدلال من مقدمة جاهزة . لذلك اتخذه ابن رشد دليلا في مجال العلاقة بين الشريعة والحكمة فهو يحدد هذه العلاقة في ضوء

نظريتـه عـن المعرفـة إذ هـو يفـرق بـين ثلاثـة أنـواع مـن المعرفـة :خطابيـة وجدليـة وبرهانيه وأدقها البرهانية لأنها تبدأ من المبادئ الأولية للعقل ،ويقرر ديكارت أن العقل واحد عند بني البشر أجمعين كما دفع التعصب الديني في أوربا إلى دفع فلاسفة التنوير لإعلاء سلطان العقل .

كما أن من بعض أسباب أزمة العقل العربي أن بعض العوامل قد أسهمت في تمجيد الماضي فالثقافة الميثولوجية للشعوب رسمت صورا خيالية مثالية للأزمان الماضية ،كما أن "الذكريات والأساطير في معظم الحضارات تفسده وتشوه التسلسل الزمني الدقيق ،فهي تسلم لما لديها من شواهد دون نقد أو تمحيص أو استخدام العقل ، كما أنها تخلط الأسطورة بالتاريخ ، والبشر بالألهة والأبطال والواقع بالخيال ، والحقيقة بالمأثور الأدبي" (بورتررُوي : فكرة الزمان عبر التاريخ عالم المعرفة ،1992 ص22).

وواقع العقل العربي ما زال مرتبطا ببعض صور الميثولوجية ،وقد أدى ذلك إلى استقرار ما يمكن أن يسمى ب " التخلف المزدوج" وهو التخلف عن وضعنا الذي تم في الماضي قبل انحسار دورات الحضارة بعيدا عنا ،والتخلف المرير في الحاضر الذي يدفعنا إلى غياهب العجز والتبعية ،كما يتطلب منا مقاومة التسطيح المخل هذا التسطيح الذي ينجم عن عدم التمكن أو فقر الإمكانات أو ضعف الوعي الجاد بأهمية الدراسات العلمية المتعمقة .

ذلك يتطلب أن يكون للعقل دور مهم في الدفع باتجاه التوجه الإنساني المتسم بالانفتاح الحضاري لاستشراف رؤى المستقبل . وعلى سبيل المثال فإن إعطاء التفكير العقلي إجازة وتعطيل الرؤية النقدية على المستوى السياسي،

أنجزت الأنظمة العربية خلال أكثر من ثلاثين عاما إلغاء كليا أو شبه كلي للفضاء السياسي محتكرة القول والفعل والقرار ،ومستعيدة الأنظمة الأبوية في أكثر أشكالها تخلفا ، حيث الأب هو العاقل الوحيد وما على الرعية إلا القبول والخنوع ، تحولت السياسة وهي شأن مجتمعي إلى طقس كهنوتي مغلق ، يرى ما في خارجه عدوا ينبغي القضاء عليه ، لأن طقس الأقلية لا يستقيم إلا بتدمير الأكثرية في ظل عدم الاحتكام إلى العقل لذلك أدت السياسات السلطوية في مستوياتها المختلفة إلى مجتمع عربي بدون عقل صفته الأولى : الأزمة العضوية المغلقة التي يفتحها طول عهد المجتمع على التفكك والانحلال ، لذلك يبدو المجتمع العربي اليوم مجتمعا لا أزمة فيه علما بأنه مجتمع مأزوم منذ زمن بامتياز ،لأن الاستنقاع الذي يعيشه ألغى فيه معنى الأزمة ودفعه إلى تخوم الموت .

وما العقل العربي المعاصر بهذا المعنى إلا ترجمة لمجتمع مأزوم نسى أزمته لأن الصحوة العقلية المفترضة لم تقم خلال أكثر ثلاثين عاما من الزمن إلا بالانتقام المتأخر من عصر التنوير العربي ومن المنتمين إليه ، دون أن تقدم أية بدائل اقتصادية وسياسية وثقافية باستثناء قمع الفكرة ، وتنشيط الطائفية التي لا تحتاج إلى التنشيط .

ومرجع ذلك أنه عندما تعرف الفكر العربي على منظومات الفلسفة العقلانية وتيارات الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي المستند إليها في لحظة تاريخية كان فيها الغرب الأوربي قد انتقل إلى عتبة الإمبريالية فحدث صدام عنيف داخل المجتمعات العربية بين الغرب المندفع تحت تأثير تطور نظامه الاقتصادي الرأسمالي وبين المجتمعات العربية التي كانت تعيش في مستوى من

التأخر التاريخي ، الذي سهل إمكانية اغتصاب جغرافيتها واختراق أنظمة المجتمع والثقافة السائدة فيها .

لذلك" دفع عبد العروي" إلى ضرورة الدفاع عن لزوم القطيعة مع تاريخ التقليد المتمركز حول ذات هامشية ومهمشة في الحاضر الكوني حتى يمكن الانخراط في تمثل مكاسب الأزمنة المعاصرة ،بهدف إعادة إبداع التاريخ الذاتي الذي لا يمكن فصله عن تاريخ العالم بمختلف تناقضاته وتطلعاته .

كما يشير" محمد عابد الجابري" في نقده لتجليات العقل العربي في عصورنا الوسطى أن علاقة مشروعه بالنقد بالتحرر من قيود الماضي التي فقدت وظيفتها اليوم في عالم نجح في تركيبات مقدمات جديدة في موضوع تعقله في ذاته ،وللتحولات التي حدثت في التاريخ وفي تاريخ الأفكار الدينية وآلياتها النظرية على وجه الخصوص .(كمال عبد اللطيف ،تيارات العقلانية والتنوير في الفكر العربي ، المستقبل العربي ،5 /2005 ص 136 ،137).

ويرى" سعيد إسماعيل علي "ضرورة وجود العقل في حياتنا حيث يؤكد أن أهم غاية من غايات التعليم والتربية والثقافة تتمثل في إعداد الفرد للحياة في حاضرها ومستقبلها وتنمية قدراته على مواجهة مشكلاتها ، ويرى أن تحقق ذلك الهدف أو تلك الغاية في انصرافه عن قراءة الخرافة أكثر مما يقرأ عن العلم وعن العقل .(سعيد إسماعيل علي مكانة العقل في حياتنا الفكرية ،مجلة العربي ،2015/2 ص33).

التربية والعقل والدين :

أغفل المسلمون أن في الإسلام جانبا روحيا غالبا متميزا عن العهدين القديم والجديد وهو الجانب الغالب على رسالة سيد الخلق النبي محمد ﷺ ، وإذا كان الدين الحنيف قد احتوى على جانب قانوني يتمثل في قواعد المعاملات فهو جانب مهم ، أما الأغلب الأعم من الآيات فإنه يتعلق بصياغة العقل والضمير، وقد أهمل المسلمون نتيجة اهتمامهم بالجانب القانوني الذي قتل بحثا أهملوا الجانب التربوي الذي يقوم على بناء الإنسان ، وقاد ذلك إلى تقليص دور العقل في التعامل مع الرسالة المقدسة .

إن ما شهده تاريخنا من حجر على البحث في السياسة على سبيل المثال إلا لتأييد حاكم قائم أو تشويه حاكم مضى ، وما مارسه المسلمون من تكفير لبعضهم البعض ،من قطع بعضهم رقاب بعض ، يعود في المقام الأول إلى أنهم لم يستوعبوا درس الإسلام ولم يفهموه على أنه رسالة تربوية عقلية ، لذلك أمكن لأي من أصحاب المصالح أن يجد في تعاليم الدين المجملة تأويلا يسعفه لتأييد موقفه ، ووجهة النظر التي تناسبه ، واستخرج البعض من الدين تبريرات للجريمة وتسويغا للظلم ، بل انصرف البعض إلى تسخير الدين لخدمة الخرافة ، فعالج بالأدعية الأمراض ، واحترف كشف الغيب وقراءة الطالع ومطاردة الجن بعيدا عن أية عقلانية على نحو ما نشاهده في الفضائيات مرارا وتكرارا في الفترات الأخيرة .

إن التربية والعقل والدين هم تجليات الارتقاء في الممارسات المجتمعية، تتحقق عندما ينشط النسق المعرفي والفكري والثقافي للمجتمع ويتسع ، بوصفه أهم الدوائر المؤثرة في استمرار المجتمعات وتطورها واستقرارها ، حتى لا يصبح المجتمع

obeikan.com

أسير أجوبة متخشبة جاهزة متوارثة في مواجهة ضغوط احتياجاته باجترار ثوابت معرفية تجاوزتها فتوحات الزمن المعرفي الراهن ، بتنوعات إنجازاته المتجددة ، في حين أن المجتمع لتحقيق تجدده تتطلب ليس فقط أن يعرف المجتمع نفسه ، بل أن يصنع نفسه ويؤسس ذاته في سياق إدراك دائم أن المجتمع لا يمكن أن يكون إلا بتحرير العقل العام ، ليقرأ ويتمعن ويستوعب ويدرك ويعرف وتتحول مقروءاته ومعارفه إلى شبكة ممارسات يومية تسود كل مظاهر وآليات البنيات الاجتماعية والفردية وعلاقاتها ، التي تواجه الصدوع اللامعقولة وحالات التسلط المغلق التي تغلف وعي الناس بشطحات الارتداد للخلف والعزلة وانعدام العقلانية . لأن الإنسان أكثر ثراء من الواقع وأيضا أن لا شيء يتأبد في الحياة الاجتماعية.ليمنع العقل من بناء المعرفة الجديدة .

وعلى سبيل المثال فبعد ثورة الخامس والعشرين من يناير تغير العقل المصري وتغيرت أفكارنا وانكشف الغطاء عن حقائق مظلمة ومؤلمة لم تكن جلية وقتها وأظهر العقل الجمعي سؤالا مشروعا : هل كان الربيع العربي حقا هو مجرد حالة انفجار داخلي أم حصيلة تفاعلات محلية وإقليمية أم هو نتاج لسياسات دولية ؟ وهل كانت ثورة يناير ثورة شعبية مطلبيه أم كانت ثورة خلاقة في المنطقة التي بشرت بها " كونداليزا رايس" عن قدرة أمريكا على إحداث ثورة خلاقة في المنطقة ، كانت بشرة مدروسة موجهة لكل الأطراف التي تعاونت مع أمريكا من ناشطين سياسين ونخب تربحت على جثث الأوطان وشباب تم الزج بهم لإحداث فوضى .

التربية الإسلامية و تأصيل البناء الفكري لدى الإنسان المصري على ضوء ثورة التقدم العلمي و التكنولوجي

يعد الإسلام دينا للحياة بجميع أبعادها المختلفة ، وقد جاء لمصلحة المجتمع ولسعادة الإنسان في دنياه وأخراه . فالإسلام رسالة ومنهاج حياة تتطلب تلك الحياة أسسا تربوية تقوم على ركائز تربية إسلامية ، فالرسالة من منظور إسلامي تعنى العطاء الإلهي المتجدد الذي يوفر للأمة قيمها الروحية والأخلاقية والإنسانية باعتبار أن القيم هي المنارات التي توضح للأمة معالم طريقها واستقامة حياتها.

والتربية الإسلامية تقوم في الأساس على تأصيل البناء الفكري للإنسان في مختلف مراحل نموه وبخاصة مرحلة الشباب، حيث يقوم البناء الفكري في جوهره على تنمية العقل البشرى ورعايته وتحريره من كل ما يعوق حركته وانطلاقه ،ثم دعوته إلى التأمل في صنع مخلوقات الله، والحث على طلب العلم والاستزادة منه (رضوان،2006، 65)فالتربية الإسلامية لا تعمل على قهر النفس الإنسانية بل تترك للإنسان مجالا واسعا أمام حياته الشخصية والاجتماعية حتى يمكن للخصائص النفسية والاجتماعية والوجدانية والعقلية أن تجد طريقها نحو التطور الإيجابي الذي يتلاءم واستعدادها الذاتي وذلك في ضوء توجيهات عقيدة الإسلام ومبادئها سعيا لتأصيل بناء فكرى للإنسان،ليعرف نفسه في ضوء رؤية منهج الإسلام فيعرف مكانته وعقيدته وتراثه في وضوح وجلاء وليعرف أيضا الآخرين من أبناء الأمم الأخرى لتحقق لديه قيمة الوظيفة التي نيطت به ومعنى استخلافه في الأرض، وجلال الرسالة التي حمل إياها ،وذلك في ظل المتغيرات

obeikan.com

المتسارعة في عصرنا الحالي والتي لا يمكن اللحاق بها إلا من خلال تأصيل هذا البناء الفكري الذي يفرز بوضوح بين ما يتفق مع ديننا الإسلامي، وما يخالف عقيدتنا، فالتربية الإسلامية تسعى سعيا حثيثا إلى ربط الإنسان بخالقه وبعالمه وبكونه .

والبناء الفكري للإنسان مرتبط بتحرير العقل من كل صور الوهم والخرافة والدعوة إلى التأمل والتفكير فالتربية الإسلامية تدعم العلاقة الوثيقة بين قاعدة العقيدة والفكر، بين الإيمان والمعرفة ، بين الإيمان والتقدم العلمي ، إنها تفتح أبواب المعرفة و تحث على التزود بها ، تدعو إلى الأخذ بأسباب العلم و التقدم العلمي . (رضوان ،2006، 69).

ويعيش الإنسان المصري الآن سمات ثقافة عصر الإنترنت ، وهذه الثقافة تعنى أن نشيد حولنا أسوارا عالية تحول بيننا وبين ماضينا وتراثنا بدلا من أن نبنى الجسور إليهما حتى نفهم تأثيراتهما ،وكيف أسهمت هذه التأثيرات في تكييفنا ؟ إن أصوب تعريف للثقافة هو (الإلمام بالماضي الحي) والإلمام بالماضي الحي ليس من المشاغل الرئيسية لعصر الإنترنت ، هو عصر أهم ما يتسم به التجزؤ *frag mentation* تجزؤ الفكر ،وتجزؤ الاهتمامات ،وتجزؤ العلاقات الاجتماعية ،و تجزؤ المعرفة ،و تجزؤ روح الفرد منا . (أمين 2005 ، 105) .

و لكي نؤصل بناء فكريا لدى الإنسان المصري من خلال التربية الإسلامية ، فإن ذلك يتطلب قبل كل شيء إعادة النظر المستمرة في مضامين الفكر الإسلامي وصيغه بهدف تجديدها و تفعيل العناصر الساكنة فيها ، لأن استشعار هذه الأهمية من قبل أصحاب الفكر و الاختصاص بات من البديهيات التي لا تحتاج إلى دليل ،

obeikan.com

فـإن الواقـع المتغير مـن حولنـا و الحـوادث المستجدة و سـرعة التطـور الـتي نعيشـها بشـكل يـومي تجعلنـا في مواجهـة دائمـة مباشـرة مـع ضـرورة التجديـد في الفكـر الإسلامي (التسخيرى 2001 ، 171) .

و يحتـاج ذلـك إلى ضـرورة بنـاء وعـى نقـدي ، لأن ذلـك الـوعي يخلـق حالـة مـن الحركـة و التغيير و التجديـد تـدفع باتجـاه تحريـك الجمـود الفكـري و بخاصـة الفكـر التربوي . هذا الفكر الذي يعـانى مـن إشكالية إنتـاج عنصر الأزمـة الـتي يعـانى منهـا الفكر العربي و الثقافـة العربيـة بسـبب الافتقـار إلى فلسفة تربويـة واضـحة المعـالم والأهداف (حنوش ، 2000 ، 171) .

و مـن ثـم لا يـتم تفعيـل الواقـع تربويـاً ، حيـث لا يـتم تفعيـل التربيـة لـذاتها ، مثلما يحدث للفكر ذاته ، فتفعيل الواقع فكريا ، لا يتم إلا عبر تفعيل الفكر لذاته ، وتفعيـل الفكـر لذاتـه يخرجـه مـن أزماتـه وعثراتـه الـتي يمكـن أن تخضـعه لعوامـل الـزوال و الانـدثار ، و الفكـر السـائد في الـوطن العربـي بشـكل عـام يغلـب عليـه الطـابع الإيديولوجى الخالص ، إنه يتسم بالهشاشة النظرية ، التي لا تتيح الاحتكـاك المعـرفي لحقائق الواقـع و ضـروراته و احتياجاتـه ، و حركتـه المستقبلية و لهذا فهـو أقـرب إلى تكريس الواقع القائم و إعادة إنتاجه (التركمانى 2008 ، 28) .

و مرد ذلك إلى انعدام الوعي بالشيء ، و الوعي يتشكل نتيجة لتفاعل النـاس مـع عـالمهم ، لما في هـذا العـالم مـن فكـر ، فـإذا حكمنـا علـى الـوعي في فـترة مـن الفـترات بأنـه وعـى متخلـف ، فـإن هـذا الحكـم يكـون علـى البشـر أنفسـهم بـالتخلف ، لأنهـم أخفقـوا في إقامـة حـوار مـع واقعهـم بالنقـد و التحليـل ، لكـي يشـكلوا العـالم بمـا يناسبهم (سيد أحمد ، 1993 ،214) .

و لما كان الفكر العربي قد اتسم بالهشاشة ، فقد تجلى ذلك في كونه قضى مئات السنين يعيش ثنائية دائمة ، لا يرى نفسه إلا من خلالها ، ثنائية القديم ، والحديث ، و الأصالة و المعاصرة . . إلخ وهكذا لم يقم الفكر النظري العربي في العقود الماضية ، و بقدر تنبنيه هذه الثنائية كواقع ثابت و طبيعي إلا بإعادة إنتاجها (غليون . د . ت . 9) .

و كان من نتيجة ذلك أن الفكر العربي المعاصر لم ينجز بعد النقلة الكيفية الضرورية للدخول في العصر و الاشتراك في إنتاج علوم اجتماعية عالمية الأفاق وعلى مستوى التحدي التاريخي ، الأمر الذي ترتب عليه خطر جسيم هو خطر " تهميش العرب في إنتاج المستقبل الإنساني " (أمين ، 1991 ، 159) .

فنحن نعيش زمنا غير الزمن وحالا غير الحال ، بعد أن اتسعت الفجوة الحضارية والثقافية بين دول العالم ووقوع أحداث أظهرت حتمية التقارب وليس التباعد .

فعالم اليوم فريد في نوعه فهو عالم الاتصالات الآنية والمعرفة الممتدة إلي ما وراء الأفق ، والمتاحة لمن يريد أن ينهل منها، عالم شبكات المعلومات والأقمار الصناعية والمحطات التلفزيونية والإذاعات المتقدمة التي تكاد تغطي كل متر من الكرة الأرضية ، وتكشف معظم المستور (الجمال 2004 ، 90) .

وفي إطار ما يحدث في عالمنا الحاضر الآن وسعينا نحو بناء فكري للإنسان المصري من خلال التربية الإسلامية فإننا نجد أن الاجتهاد لصيق بعملية التجديد والبناء الفكري، فالاجتهاد هو أداة التجديد والمولد الذي ينتج مواد التجديد . وبرغم أن الاجتهاد يعني اصطلاحا علي وفق الفهم الموروث القابلية لاستنباط الحكم

الشرعي من مصادر التشريع الإسلامي ، إلا أن تعميمه ليشمل كل مجالات الحياة ، أو بالأحرى كل مجالات الفكر الإسلامي التي تتدخل في كل زوايا الحياة ، وبذلك يكون الاجتهاد منسجما مع أهداف الشريعة نفسها ، والتي هي قانون الحياة ، فالاجتهاد إذن هو أداة التجديد في فقه الأفراد ، وأداة التجديد في فقه المجتمع ، وفي الفكر الاقتصادي ، والفكر السياسي والفكر الاجتماعي وغيرها . (التسخيري ، 2001 ، 173).

وهنا تبرز أهمية التربية الإسلامية في تأصيل البناء الفكري لدي الإنسان المصري وفي بناء فكر جديد ومتجدد في مواجهة التقليد والموروث السلبي ، أي للأفكار القديمة والمتوارثة والراسخة في الوجدان والتي توجه سلوك الناس وتفكيرهم فالإسلام دين عالمي اهتم بعقل الإنسان وحثه علي التفكير البناء والخلاق ، فالاهتمام بالعقل البشري وإمكاناته وأساليب نموه وتطويره ، وبعده عن التقليد والجمود والسكون ، يبرز لنا ملامح المنظومة التربوية المميزة للألفية الثالثة .

فهي ألفية تراهن علي تفتيح عقول الشباب والمتعلمين ورعايتها ، وتلعب دورا فعالا في مجتمع ما بعد الصناعة ، ذلك يتطلب من الفرد أسلوبا عاليا من التكيف المعرفي الذي يعلي من شأن التفكير الجيد والقيم التربوية الرشيدة في عصر استطاع العالم فيه أن يحقق نوعا من التزاوج بين الكمبيوتر ، والعقل البشري علي أجهزة كمبيوتر متطورة ، وإذا ما دخلنا في هده العملية من التفاعل بين التنمية الهائلة والشاملة لإمكانات العقل البشري ، فضلا عن التطور الهائل في الهندسة الوراثية ، والتقدم المذهل في تطوير الإنسان الآلي والتحكم عن بعد ، والتقدم الكبير

في التكنولوجيا فائقة السرعة ، فنحن في إطار منظومة جديدة تشكل نقلة في قدرات الجنس البشري . (الصعيدي 2007 ، 151) .

ومن هنا تبرز أهمية تأصيل بناء فكري جديد لدي الإنسان المصري يخرج بالعقل من البنية المعرفية الثابتة إلي تأصيل فكري ومعرفي متجدد من خلال تربية إسلامية تؤكد أن العقل هي القوة الكبرى التي يجب أن يمتلكها شباب القرن الحادي والعشرين ،وبخاصة مع وجود المحك الثقافي الذي يحول أنوار المعرفة إلي معارف مشتركة .

فالعرب كانوا منفتحين علي الآخر في لحظات قوتهم ، فالترجمة كانت سائدة ، وانفتاح ابن سينا علي فلسفة أرسطو ، والفارابي علي فلسفة أفلاطون خير مثال ، وكان الخطاب العربي في أوقات القوة يطالب بالانفتاح علي ...... أما في الخطاب الضعيف فإن الحوار يتمحور حول الحفاظ علي ...... وليس أمامنا إلا أن نعترف بأننا جزء من هذا الكوكب مع الاحتفاظ بقيمنا الأصيلة ، وتفعيل التفكير النقدي للوافد الحديث ، والتراثي الأصيل من أجل المحافظة علي هويتنا من جهة وتجديدها وعصريتها من جهة أخري (عبد الحميد وآخرون ، 2004 ، 55) .

ويتطلب البناء الفكري للإنسان المصري مواصلة التجديد الذي لم ينقطع في تاريخ الفكر الإسلامي ، و الدليل على ذلك أن الإمام الشافعي كانت له أراء فقهية في العراق ، و حينما انتقل إلى مصر بدأ يعيد النظر في فتاواه لأنه وجد في مصر أعرافا مختلفة عما وجده في العراق الأمر الذي دعاه إلى ضرورة مراعاة ذلك، ومنذ بدأ النقل عنه حتى يومنا هذا يقال : مذهبه في القديم ، أي عندما كان في العراق ، مذهبه في الجديد، أي بعد أن انتقل إلى مصر.(زقزوق،2005، 52، 53).

obeikan.com

والزمن العربي الحالي ومن خلال رؤى التربية فيه بحكم شرطه التاريخي هو زمن يجمع بين أزمنة متعددة ، وهو زمن تتقاطع فيه الأزمنة ، وتتصارع دون أن يكون أقربها إلى القرن الحادي والعشرين أكثرها تأثرا أو حضورا أوقوه فهو زمن يجاور مابين أقص مظاهر التقدم وأقص درجات الجمود زمن المتعارضات المتصادمة أفقيا ورأسيا من أبنية الثقافة والمجتمع والاقتصاد (عصفور 1998 ، 109)

و يدفعنا ذلك إلى ضرورة التحلي بوعي نقدي ، و تجاوز التلقائية ، والانغلاق الفكري إلى نظرة إنسانية شمولية ، تكون فاتحة لعهد جديد ، يتميز بالحوار الفعال، و الحقيقي مع الآخر ، بعيدا عن النظرة الاحتقارية للذات و الانبهار الأجوف بالآخر (العروى ، 1999 ، 255) .

و يمر ذلك من خلال إعمال العقل الذي حفزه الدين الإسلامي على ضرورة إعمال الفكر ، و يبدأ تفعيل العقل مع بداية التمدرس ، فجوهر المدرسة هو التوعية الفكروية ، و تتركز وظيفتها كمعبر أساسي للأشياء الخاصة بالعقل ، فمعظم ما يتلقاه الإنسان مع مراحل تكوينهم المختلفة تتم داخل المدرسة ، فالمدرسة تعطى الاهتمام الكبير للوسط الأساسي الذي يعمل العقل من خلاله ، هذا الوسط هو الرموز ليس فقط في مضمار اللغة و لكن في الرياضيات و غيرها أيضا .

ويمكن للتربية الإسلامية أن تؤصل لبناء فكرى واع لدى الإنسان المصري من خلال الإبداع الذي يخلقه العقل ،فالإبداع حركة لا سكون والحركة تتطلب وعيا نقديا ناظرا للمستقبل لا غائبا عن الحاضر.

وبالنظر إلى المادة التعليمية التي يتلقاها الناشئون نجد أنها تطغى على أساليب التفكير. فالمناهج تكتظ بمادة تعليمية ضخمة على حساب تنمية مهارات

obeikan.com

التفكير، وتوقف دورة التعليم عند اكتساب المعرفة دون توظيفها والانتفاع بها ، وهذا يعرضها للتبدد والضياع ويعانى معظم الطلاب من عدم التمكن من مهارات البحث عن المعرفة ومن طرق تمثيلها منهجيا ومن عرضها وتسويقها وتوظيفها (على ، 2003، 138)

وإذا كان منهج الإسلام قد حث على الإقبال على طلب العلم الذي يقوم على الحجة القوية والبرهان المقنع ، فإنه أيضا قد أعلى من قدر العلماء والمتعلمين وأثنى على دورهم في خدمة قضايا العلم والدين ، كما جاء في قوله تعالي :

﴿...يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ...﴾ [سورة المجادلة:11]

ويقودنا ذلك علي التأكيد علي ضرورة تنمية المهارات الذهنية الباعثة علي الفكر الجيد . فغياب مفهوم تنمية المهارات الذهنية ، هو نتيجة منطقية لأسلوب الحفظ والتلقين في كل مراحل العملية التعليمية من رياض الأطفال حتى الجامعة، فتنمية المهارات الذهنية الأساسية كالاستنتاج ، والاستنباط ، والاستقراء ، والتحليل ، والتركيب وترشيد استثمار موارد الذاكرة البشرية ، ومهارات التواصل مثل القراءة ، والكتابة ، والاستماع وهذه البينة التحتية التي يقام عليها مجتمع المعرفة (السمالوطي 2004 ، 104) .كلها تساهم في تأصيل البناء الفكري ومن أجل ذلك يجب أن نتعلم فالتنامي المتصاعد للخيال البشري أصبح أمرا حتميا حتي يمكننا استيعاب متغيرات العالم من حولنا ، وحتى يمكننا تطويع إمكانات لغتنا وقدرتها الكامنة للتعبير عن عصر يموج بتقلبات مذهلة ، وثورات حادة في مجال التقدم العلمي وثورة المعلوماتية الحيوية التي أثرت معرفة الإنسان واستكشافه لآفاق ومناطق لم تكن مألوفة من فبل ، وثورة " البيوتكس"

(تعني إدماج العلوم الإلكترونية مع علوم الحياة ، وتتجلي في الهندسة الوراثية التي أثمرت مشروع الجينوم البشري) . وثورة " الربوتكس " (المقصود بها استحداث أدوات تنافس الكائن البشري في إنجاز أعمال معقدة) . كل هذا يدعونا إلى التأمل المبدع لما حققه الإنسان في هذا العصر.

فقد قاد العقل الإنسان إلي تلك الثورة ويتفق ذلك مع منهج التربية الإسلامية والفكر الإسلامي في تحرير العقل ، وذلك لتحرير الإنسانية من أغلال الحجر العقلي ، وسيطرة التبعية العمياء ، وتربيته علي حرية الفكر واستقلال الإرادة ليكمل ذلك عقله ، ويستقيم تفكيره وتكمل له شخصيته وإنسانيته، فإن كمال العقل ، واستقامة التفكير، واستقلال الإرادة هي أساس صحة العقيدة ، ومعرفة الحق الذي يجب أن يتبع (السايح ، 2005 ، 18) .

وعلي ضوء ما سبق يمكن للتربية الإسلامية أن تؤصل بناء فكريا لدي الإنسان المصري من خلال تحصينهم بسلاح الاختلاف الواعي مع الآخر، الذي من شروطه إعادة نظر نقدية للعلاقة التي تربط الثقافة العربية الحديثة بأصولها الموروثة من جهة بالثقافة الغربية من جهة أخري ، في ضوء هذه النظرية النقدية الواعية تعلن الثقافة العربية والفكر العربي عن أسئلتهم الخاصة مستجيبة لما تمليه الظروف ، وما يفرضه واقع الإنسان العربي ، لا استجابة لسياقات وأنساق ثقافية بعيدة عن المعطيات الراهنة ، سواء كانت من الماضي أم من حاضر الثقافات الأخرى .

والنظرة الناقدة للفكر ضرورة حياة سواء أصابت أو أخفقت ، لأنه لا ينشأ فكر من فراغ ، ولا يكتب له البقاء والاستمرار إذا لم يعارضه فكر آخر، لأن الفكر

ينشأ مبشرا بشئ ما ومهاجما لشئ ما ، وتلك طبيعته ، ومن نقد الفكر ، ومن نقد النقد ومن تبادل الأفكار للهجوم والدفاع تتجدد الحياة الفكرية ، وتنشا التكوينات العقلية المتطورة ، وتنزوي التكوينات الساذجة في عالم النسيان (سيد أحمد ، 1993، 205)

ويقتضي ذلك حضورا لفكر واع قوامه العقل كي تتوافر فرص النقد الواعي والتعبير ، وتناول القضايا بواقعية بعيدا عن أجواء التسلط والعنف المادي أو المعنوي ، وذلك بالاستناد الحقيقي على سماحة الروح الإسلامية ،ومنظومة الإيمان والعقيدة التي تقوم على أركان الإسلام حتى لا تضيع خصوصيتنا وتتلاشى هويتنا وذلك بإعمال الفكر الذي يجب أن يتم تأصيله إسلاميا،

فالإسلام يستنهض العقل البشري الفكر والمعرفة في كل الميادين ،ثم يوظفها لصالح الناس والمجتمعات وللانتفاع بالمسخرات الكونية التي سخرها الله للإنسان.

الإسلام دين الرسل جميعا

عقيدة الإسلام محورها الصريح الواضح هو التوحيد ،بمعنى الإقرار بالوحدانية في الفضل والإنعام والعطاء لله سبحانه وتعالى ، والله سبحانه منذ أن خلق البشر اصطفي لهم الدين ، وكان هذا الدين المصطفي هو الإسلام ويظهر ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة البقرة:132] ، كما أن في شان اكتمال رسالة النبي محمد ﷺ، ووفائها بكل مطالب الدين الذي رضيه الله ، فيقول تعالى : ﴿...ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ...﴾ [سورة المائدة:3] .

لذلك نرى أن الإسلام اسما ومضمونا يعبر تعبيرا صادقا عن كل جوانب الدين عقيدة وعبادة وسلوكا ، كما أن رسل الله جميعا جاءوا بالإسلام ودعوا إليه ،وتمنوا من الله أن يموتوا عليه ، فلله تعالى دين واحد ،جاءت به رسالات متعددة .

وقد أكد القرآن الكريم في آيات شتى أن الإسلام دين الرسل جميعا ، فنوح عليه السلام بين لقومه أن رسالته هي الإسلام، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام : ﴿ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة يونس:72] . وإبراهيم عليه السلام كان مسلما : ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة:131] . وأبناء إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وحفيده يعقوب كلهم رسل ، فيعقوب حين حضره الموت يسأل بنيه عن معبودهم بعده ﴿...قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة البقرة:133] .

obeikan.com

ويوسف عليه السلام تمنى أن يموت مسلما ، قال تعالى على لسان يوسف :

﴿ ...فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة يوسف:101].

وموسى عليه السلام كان يدعو إلى الإسلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس:84] .

وسحرة موسى عندما آمنوا طلبوا من الله الصبر ، والموت على الإسلام ، ﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الأعراف:126] .

وعرف فرعون عند الغرق أن موسى يدعو إلى الإسلام فأسلم ﴿... حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة يونس:90] .

وسليمان عليه السلام دعا إلى الإسلام ، وسجل القرآن الكريم رسالته إلى بلقيس ملكة سبأ التي يقول فيها : ﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ [سورة النمل:31] وأسلمت ملكة سبأ حيث قالت : ﴿...رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة النمل:44] .

ودعا عيسى عليه السلام إلى الإسلام إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة المائدة:111].

ألا يدل ما سبق على أن رسالات الرسل جميعا دعت البشرية إلى دين الإسلام .

obeikan.com

فكل الرسل الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى إلى هداية الناس كانوا يدعونهم إلى الإسلام ، وهذا يؤكد وحدانية الخالق ،وبذلك يتأكد لدى البشر توحيد الربوبية وهذا النوع من التوحيد يكاد يشمل الخلق جميعا ، فهو في غير البشر يبدو في التزامها بالسنن وخضوعها لقوانين الله التي أقام عليها كونه ، فلا تتخلف ، يقول تعالى في شأن السموات والأرض : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [سورة فُصِّلَت:11].

وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴾ [سورة الرعد:15] .

وكل واحد من بني الإنسان على دين – أي دين – يعرف توحيد الربوبية ، لا تبعده فطرته مهما انحرفت عن الإيمان بالخالق ، رب هذا الوجود ، ورغم أن هناك من يغالطون الفطرة نجدهم عند المحن يقولون : يا رب .

obeikan.com